

«ميدل إيست آي»: «محمد بن سلمان» يرى الأعداء في كل مكان

ترجمة وتحرير شادي خليفة - الخليج الجديد

عكسـت 3 موجـات من الاعـتـقالـات جـنـون العـطـمة الـذـي يـعـانـي مـنـه ولـيـالـعـهـد السـعـودـي «مـحـمـدـ بـنـ سـلـمـانـ». ويـبـدوـ أـنـهـ لـمـ يـعـدـ قـادـرـاـ عـلـىـ التـميـزـ بـيـنـ الصـديـقـ وـالـعـدـوـ. وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ الـوصـولـ إـلـىـ عـتـبةـ الـإـجـمـاعـ فـيـماـ يـتـعـلـقـ بـاـقـتـرـابـ صـعـودـهـ إـلـىـ الـعـرـشـ، إـلـاـ أـنـ «ـبـنـ سـلـمـانـ»ـ يـتـصـرـفـ وـكـأـنـ مـوـقـفـهـ غـيـرـ مـضـمـونـ.

الشعور بعدم الأمان

يمـكـنـ النـظـرـ إـلـىـ حـمـلـاتـ الـاعـتـقالـ هـذـهـ عـلـىـ أـنـهـ عـلـامـةـ عـلـىـ اـنـدـادـمـ الـأـمـنـ، أـوـ تـكـتـيكـ لـلـقـمـعـ، أـوـ كـاسـتـرـاتـيـجـيـةـ حـشـدـ شـعـبـيـ لـضـمـانـ الـاتـفـاقـ عـلـىـ سـيـاسـاتـهـ وـأـسـلـوبـ قـيـادـتـهـ، نـاهـيـكـ عـنـ شـرـعيـتـهـ الـخـاصـةـ بـصـفـتـهـ الـورـثـ الشـرـعـيـ للـعـرـشـ.

لـكـنـ كـلـ حـمـلـةـ مـنـ حـمـلـاتـ الـاعـتـقالـ تـسـتـهـدـفـ الـأـفـرـادـ بـطـرـقـ يـبـدوـ أـنـهـ تـعـمـلـ عـلـىـ اـسـتـمـرـارـ قـصـةـ «ـلـعـبـةـ الـعـروـشـ»ـ السـعـودـيـةـ. وـهـذـاـ بـدـورـهـ يـسـلـطـ الضـوءـ عـلـىـ دـمـرـرـةـ «ـبـنـ سـلـمـانـ»ـ عـلـىـ التـركـيزـ عـلـىـ تـطـوـيرـ الرـؤـيـةـ الـاقـتصـادـيـةـ الـتـيـ يـقـدـمـهـاـ. وـتـعـكـسـ الـاعـتـقالـاتـ الـرـغـبـةـ الـشـدـيـدـةـ فـيـ تعـزـيزـ السـلـطـةـ عـنـ طـرـيقـ القـمـعـ بـدـلاـ مـنـ التـوـافـقـ.

أـوـلـاـ، تـمـ اـسـتـهـدـافـ مـجـمـوعـةـ مـنـ إـسـلـامـيـيـنـ مـاـشـارـبـ مـخـتـلـفـةـ فـيـ سـيـتمـبـرـ/ـأـيلـولـ 2017ـ. وـكـانـواـ جـمـيعـهـمـ مـتـهمـيـنـ بـالـتـروـيجـ لـلـإـسـلـامـ الرـادـيـكـالـيـ، فـيـ وـقـتـ أـرـادـ فـيـهـ ولـيـالـعـهـ نـقـلـ المـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ السـعـودـيـةـ إـلـىـ عـقـيـدةـ أـكـثـرـ اـعـتـدـالـاـ. وـكـانـ مـنـ بـيـنـ الـمـعـتـقـلـيـنـ عـلـمـاءـ دـيـنـيـيـنـ مـشـهـورـيـنـ، وـمـفـكـرـيـنـ، وـحتـىـ خـبـرـاءـ اـقـتصـادـ وـرـوـادـ أـعـمـالـ.

وـلـمـ يـكـنـ جـمـيعـ الـمـعـتـقـلـيـنـ يـتـشـارـكـونـ ذـلـكـ التـطـرـفـ الـمـزـعـومـ، لـكـنـ ماـ كـانـ يـوحـدهـمـ حـقاـ كـمـجـمـوعـةـ هـوـ إـحـجاـمـهـمـ عـنـ إـلـاشـادـةـ بـرـؤـيـةـ الـأـمـيـرـ الـاقـتصـادـيـ، أـوـ إـدانـةـ قـطـرـ كـمـصـدرـ لـلـإـرـهـابـ. وـكـانـ بـعـضـهـمـ بـبـسـاطـةـ يـنـتـقدـونـ سـيـاسـاتـ الـمـلـكـ «ـسـلـمـانـ»ـ وـاـبـنـهـ.

إـنـهـمـ سـجـنـاءـ رـأـيـ وـلـيـسـواـ خـونـةـ، كـمـ صـورـهـمـ النـظـامـ بـعـدـ اـعـتـقـالـهـمـ مـباـشـرـةـ. وـكـانـ الشـيـوخـ «ـسـلـمـانـ الـعـودـةـ»ـ وـ«ـعـوـصـ الـقـرنـيـ»ـ مـنـ بـيـنـ أـوـلـ مـنـ اـعـتـقـلـوـاـ، وـتـبـعـهـمـ خـبـرـاءـ الـاقـتصـادـ مـثـلـ «ـعـصـامـ الـزـاـمـلـ»ـ، إـلـىـ جـانـبـ الـعـدـيدـ

من الأكاديميين والمصفيين والشعراء.

موجات متلاحقة من الاعتقالات

وتم استخدام الاتهام الجاهز بالانتقام لجماعة الإخوان المسلمين لتبرير الاعتقالات. وإضافة إلى ذلك، أصبح «التوافق مع الكيانات الأجنبية» تهمة مبتذلة تكررت في الموجات التالية من الاعتقالات، التي استخدمت للقضاء على جميع أنواع الأصوات الناقدة، من الجهاديين المتطرفين إلى الإسلاميين داعمي الملكية الدستورية ورجال الأعمال الاقتصاديين.

وكانت الموجة الثانية من الاعتقالات أكثر إثارة، حيث تم احتجاز شخصيات بارزة، وكان مكان الاحتجاز غير معتمد أيضاً. ففي نوفمبر/تشرين الثاني 2017، تم اعتقال أمراء مثل رئيس الحرس الوطني السعودي «متعب بن عبد الله»، والملياردير «الوليد بن طلال»، وكثيرين غيرهم من النخبة الاقتصادية والإدارية، والذين تم احتجازهم في فندق «ريتز كارلتون» في الرياض.

ووصف اعتقالهم بأنه حملة لمكافحة الفساد لتخليص السعودية من الذين نهبو ثرواتها في الحقبة السابقة. ومع عدم وجود محاكمات وأدلة علنية ضد المعتقلين، ومع وجود تسويات دفعها عدة محتجزين بعد أسابيع، كان من الصعب تصديق الرواية الرسمية.

وكان الأمر أشبه بتدبير متعمد لتطهير النظام من منافسي ولي العهد من أبناء عمومته، ومعاقبة هؤلاء الأفراد الآثرياء، وحرما منهم من أجزاء كبيرة من محافظهم، في وقت كانت هناك حاجة إلى أموال لتمويل العديد من المشاريع.

لكن رواية مناهضة الفساد الرسمية لاقت رواجاً لدى العديد من السعوديين الذين كانوا ضحايا للفساد.

استهداف الماضي

وكان السعوديون على استعداد للاعتقاد بهذه الرواية ومديح ولي العهد لاستهدافه حتى أقاربه في حملة مكافحة الفساد. ثم في 12 مايو/أيار، جاءت أنباء غير متوقعة عن احتجاز وترحيل عضو شاب من عائلة «الرشيد» من الكويت إلى المملكة العربية السعودية، وهي الأسرة التي حكمت إمارة حائل شمال المملكة، وهُزِمت من قبل آل سعود عام 1921.

وهو الأمر الذي بدا وكأنه عودة لاستهداف الماضي.

وابن عمه، «نوفال الرشيد»، البالغ من العمر 29 عاماً، هو ابن «طلال الرشيد»، وهو شاعر شهير، تم اغتياله في ظروف مريبة في الجزائر بينما كان في رحلة صيد عام 2003. ولم يكن والد «نوفال»، «طلال»، شاعراً مشهوراً فحسب، بل كان شخصية أدبية انتشرت شهرتها عبر الخليج وخارجها. وقد ألهب شعره النبطي خيال الكثيرين، الذين فهموا خفاياه وإشاراته إلى الماضي البعيد.

وهو أيضاً حفيد «عبدالعزيز الرشيد»، الذي حكم حائل في مطلع القرن العشرين. لذلك كان على «نوفال»

الشاب حمل عبء التاريخ الذي يحمله ماضي أسرته ولعنة الاسم والنسب، الذي يقال إنه يسبب القشعريرة لدى آل سعود. ومنذ اغتيال والده، انتقل «نواف» ليعيش مع أمه القطرية، واكتسب الجنسية القطرية هناك.

وتمت دعوة «نواف» من قبل «شمر الكويت» لأداءات شعرية. وعلى مدى 3 أيام، تم تلاوة أبيات الشعر، وذبح الأغنام، وأداء الرقصات.

وللأسف، تم استخدام «نواف» من قبل العديد من المجموعات لأغراضهم الخاصة. وطلب السعوديون تسليمه وألزموا الكويت بترحيله إلى المملكة، وفق الاتفاقية الأمنية المشتركة لمجلس التعاون الخليجي، التي وقعتها جميع الدول الأعضاء، حيث أعلنت وزارة الداخلية أنها رحلت «نواف» إلى المملكة، حيث تم اعتقاله.

وكان «نواف» قد دخل الكويت بجواز سفر قطري، ولكن هذا لم يساعد له. وعكس البيان الكويتي الغامض مدى انتشار المملكة وتأثيرها هناك. ومن ناحية أخرى، أرادت قطر أن تحفظ بالولد مع الكويت، التي رفضت الانحياز في النزاع القطري السعودي وحاولت التوسط، وإن لم تنجح في ذلك.

ولم يتم الإدلاء بأي تصريح قطري رسمي، ولم تكن سوى منظمة قطرية لحقوق الإنسان التي انتقدت تصرف الكويت.

ويعد القبض على شاب بريء في عائلة «الرشيد»، واسمه مرتبط بعصر تاريخي مضى، رغبة في استهداف التاريخ. وربما كان ولد العهد خائفاً من أن تنجح قطر في إعادة تشكيل قيادة بديلة وعصر جديد من المطالبات القبلية والادعاءات المضادة.

وأرادت السعودية نفسها تعزيز قيادة قطرية بديلة، عندما أعلنت عن الشيخ «عبدالله بن علي آل ثاني» كبديل محتمل للحاكم القطري الحالي، «تميم بن حمد آل ثاني». ووصل هذا المشروع إلى طريق مسدود. علاوة على ذلك، عندما بدأ الصراع القطري السعودي في صيف عام 2017، تم عقد مهرجانات مورا وقططان القبلية، وكلاهما لهما إخوان على الجانب القطري من الحدود، بشكل منتظم للتنديد بأمير قطر. وحشدت المملكة العنصر القبلي في صراعها مع قطر، لذلك كانت تخشى أن يقوم القطريون بنفس الشيء، لأن «نواف» كان يعيش هناك.

ولمنع هذا التدخل في الشؤون القبلية، اختطفت السعودية «نواف» ببساطة. وبقي مكانه مجهولاً منذ 12 مايو/أيار.

حركة نسوية سعودية ناشئة وأخيراً، أتى هذا الأسبوع بأنباء اعتقال 7 ناشطات ومحاميات ومحامين في مجال حقوق المرأة. وفي خطوة غير معتادة، تم نشر صور الناشطات في وسائل الإعلام السعودية المطبوعة، حيث امتدحت العناوين القيادية للتخلص من الخونة، وأولئك الذين عبروا الخط الأحمر المقدس للوطن.

وكانت الناشطات مثل «عائشة المانع» و«عزيزة يوسف» و«لجين الهذلول» قد قمن بحملة من أجل حقوق المرأة ولرفع الحظر على القيادة وإلغاء نظام الوصاية. وكانت الأكبر سناً بين المعتقلات تبلغ من العمر 70 عاماً، وأصغرهن في أواخر العشرينات من عمرها.

ولقد مثلن حركة نسوية سعودية مستقلة وليدة، سدت الفجوة بين الأجيال. ولم تكن هؤلاء النساء من النسويات اللواتي ينتمين إلى النخبة التي تنظر في تعبينهن على مستويات عالية في بيروقراطية الدولة كرموز لجدول أعمالولي العهد المفترض لتمكين المرأة.

فهل يشعر «محمد بن سلمان» بعدم ارتياح بين الوهابيين الموالين له بعد أن سمح للنساء بقيادة السيارات والذهاب إلى الحفلات والسينمات؟ وهل يريد إرضاء المؤسسة الدينية وطمأنتهم أنه في صفهم، كمسلم معتدل يعطي المرأة حقاً بيد واحدة، ولكنه يأخذ حريتها باليد الأخرى؟ إن اللغة الغامضة التي تستخدمها الصحافة السعودية لتبرير الاعتقالات، بما في ذلك الإشارات إلى «الخيانة»، تعكس الرغبة في حشد السعوديين ضد عدو خارجي خيالي. فهل يمكن أن يكون هذا العدو إيران أو قطر أو كليهما؟ وطالما أن الضمير الجمعي السعودي يتم استهدافه بترويج الاعتقاد بأن المملكة مستهدفة بشياطين أجانب وأعداء مصممون على تقويض أنها وديتها ومصالحها الوطنية، فإن الأمر لا يهم حقاً.

فعلى الرغم من اختلاف المجموعات التي تم استهدافها خلال الأشهر الماضية، إلا أنه هناك خيوط مشتركة توحد هذه الاعتقالات. فـ«بن سلمان» مصمم على نشر الخوف، والقضاء على المعارضة، وتخويف الجماعات القبلية. ويود أن يظهر من الحاضر أي ذكرى تذكره بالماضي البعيد. إنه يريد التخفف من هذه الظواهر السابقة، وهو يحاول دفن الحركة النسوية القاعدة، قبل أن تتحول من المطالبات الحقوقية إلى المطالب السياسية، ليس فقط للنساء ولكن أيضاً للرجال السعوديين. وبعد كل شيء، من قال أن الحركة النسائية ليست سياسية؟

المصدر | ميدل إيست آي